# القبيلة والمغرب الروماني

أ./ حفيظة لعياضي

أستاذة مساعدة "أ"

جامعة محمد بوضياف- المسيلة

الملخص :

عرف المغرب القديم مقاومات عديدة طيلة القرون الميلادية الأولى، موازاة مع الاحتلال الروماني للمنطقة، سعيا لاسترجاع الأراضي التي سلبها الرومان، و وقوفا في وجه التحصينات التي منعت المغاربة من ممارسة الحياة التي اعتادوا عليها قبل سياسة الرومنة، مقاومات تزعمتها قبائل وإن اختلفت أنماط معيشتها، فإن نظرتها الموحدة للأجنبي، جعلتها تثور لصده، فمزارعون أو رحل، رعاة أو مربون جبليون، كلهم اجتمعوا في قبائل النوميد، أو الجيتول، الموسولام، أو البوار، أو حتى الحلف الخماسي، كل منها شكل كنفدراليات مؤقتة، ثارت لاسترداد حقوقها. وإن كان هذا الدور القبلي قد اكتفى بالمقاومة على العهد الروماني، فإنه سعى إلى إقامة ممالك موحدة خلال العهدين الوندالي والبيزنطي، واستمر في إثبات ذاته إلى عهد الإسلام لاحقا.

Résumé

Le Maghreb antique a connu des différentes résistances dès les premiers siècles de notre ère, en parallèle à l'occupation romaine de ce pays pour récupérer les terres que les romains ont dépouillé et contre les fortifications qui entravaient les maghrébins de leur vie qui ont habitué avant même les romains. Ces résistances étaient guidé par des tribus soulevaient contre l'étranger malgré leur différents types de vie. Des cultivateurs, nomades, pasteurs ou montagnards tous réuniraient dans des tribus Numides, Gétules, Musulames, Bavares ou Quinquegentiani, chacun d'eux constituait des confédérations provisoire révoltaient pour reprendre leurs droits. Et si ce rôle tribale avait seulement résisté à l'époque romain, il est allé cependant à construire des royaumes unis à l'époque vandale et byzantin, et continuait de prouver son entité jusqu'au l'Islam.

إذا كان المغرب القديم قد عرف ظهور ممالك محلية، تمثلت في مملكتي نوميديا الشرقية و الغربية، شرق و وسط بلاد المغرب، منذ القرن الثالث ق. م، وتوحدهما فيما بعد (عهد ماسينيسا ما بين 203-148ق.م)، ومملكة المور في الجزء الغربي منها، إضافة إلى الوجود القرطاجي منذ القرن التاسع ق.م، فإن الرومان قد أسسوا ولاية أفريكا الرومانية على تراب قرطاجة القتيلة منذ 146ق.م، ثم شكلوا ولاية أفريكا الجديدة على تراب المملكة النوميدية، بعد قضائهم على ملكها يوبا الأول سنة 46ق.م، ثم أطلقوا اسم موريطانيا القيصرية على المنطقة الممتدة من الوادي الكبير (قرب قسنطينة) إلى نهر الملوية، وموريطانيا الطنجية على الجزء المتبقي غربا سنة 42م، بعد إنهائهم للعرش الموريطاني الصوري الذي كونوه منذ 25ق. م، فإننا سنحاول في هذه الدراسة، معرفة خارطة القبائل المحلية و رد فعلها موازاة مع هذا التطور.

ولئن كان الأهالي الحضريون قد أذعنوا للسيطرة الرومانية، وتكيفوا مع الوضع الجديد، فعملت الطبقة الثرية منهم على الاستفادة من الفرص المتاحة لها، في ظل الإدارة الرومانية، ساعية لاكتساب الحقوق المدنية الرومانية. واعتمدت روما من جهتها على هذه الطبقة البورجوازية من الحضر، لدعم نفوذها وطبع المدن بطابع روماني، فإن نظرة الرومان إلى الأهالي الريفيين والبدو ، قد استوجبت معاملتهم بقسوة، لأنهم شكلوا مصدر قلق وتهديد لمصالح روما الاقتصادية والعسكرية. فالتغيرات السياسية التي تلت الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، جعلت تقسيم السكان الأصليين يخضع للوضعية الإدارية للرقعة الجغرافية التي يتواجدون فيها، على أن هذا المنطلق لم يبعد الشروط الجغرافية المتحكمة في أنماط المعيشة[1]. ذلك أن هؤلاء الأهالي قد انقسموا منذ زمن إلى مستقرين و رحل، مربين ورعاة، لا لضرورة إثنية بقدر ما هو نتيجة للعوامل الجغرافية، المناخية والاجتماعية، التي تعيش في خضمها التكتلات البشرية للمنطقة[2].

---

[1] محمد البشير، شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، ( الجزائر 1984)، ص 156.

[2] L. Rinn, «Les premiers royaumes berbères et la guerre de jugurtha», Revue africaine, N°29, Adolphe Jourdan. Libraire-éditeur, (Alger 1885), p. 241

لكن الصراع بين المستقرين والرحل، جعل روما- وقبلها ماسينيسا- تجتهد لتثبت الانسان وتربطه بالأرض[1]. فمن أجل تعميم غراسة الزيتون، ضاعف الإمبراطور سبتيموس سيفيروس وأبناؤه (193-235م)، مقاومة البدو الذين نظمت أسرة الأنطوانيين ترحالهم، وتضاعف الإقبال على أراضي الإنتاج، فكان لزاما طرد البدو من الأراضي التي كانوا مازالوا يملكونها، لتوسيع نطاق الاحتلال الروماني، فلم يقتصر الرومان على حشدهم، بل طاردوهم حيثما أمكن استغلال أراضيهم. وما تقدم الليمس في طرابلس ونوميديا وموريطانيا، إلا مظهر عسكري لهذه السياسة[2]، فكان حاجزا منيعا دون هجمات أولئك البدو، الذين أبدى كل منهم موقفه حسب القبيلة التي ينتمي إليها. ومن هنا يحق لنا التساؤل عن أهم تلك القبائل خلال العهد الروماني ؟ وما الأقاليم التي شغلها كل منها؟ ثم ما العلاقة التي ربطتها بالاحتلال وموقفها منه ؟ ومن ثمة عن دورها في تاريخ بلاد المغرب خلال هذه الفترة ؟

تساؤلات تقودنا إلى إلقاء نظرة على وضعية القبيلة في فترة الاحتلال الروماني، فأحيانا تكون بعض القبائل (gents كما يسميها كومس) قوية لدرجة تجعلها تترأس كنفدراليات حقيقية، لكنها على العموم عرفت وضعيات إدارية مختلفة، إذ أن بعضها كان مراقبا من طرف السلطة الرومانية، يدير كل منها حاكم (praefectus gentis) ،وهؤلاء الولاة هم في الغالب ضباط قدماء في الجيش الروماني، ذووا أصول محلية. ومع أن هذه القبائل قد حافظت على تنظيمها خارج الدائرة الرومانية، إلا أنها كانت تملك أراضي داخل المقاطعات الرومانية، أما خلال فترة الاضطرابات، أو ضعف النظام الامبريالي الروماني، فإنها كانت تجد بسهولة روح الاستقلال، متخلصة من أولئك الحكام الذين يديرونها من دون حتى أن يعلن حاكمها شرارة الثورة[3].

---

[1] شارل أندري، جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بوسلامة، الدار التونسية للنشر، 1969، ص219.

[2] G. Camps, les berbères mémoire et identité, éd. Barzakh,(l'Algérie 2007), p. 124

[3] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص ص157، 209.

هـذه القبائـل تـشابهت بنياتهـا الاجتماعيـة ومكـوناتهـا الماديـة والمعنويـة، إضـافة إلى تماثـل نظرتهـا إلى الأجـنبي، وفي علاقاتهـا بالغربـاء، وأيـضا في إصرارها بالحفاظ على مقوماتها المعنوية، حفظا لشخصيتها المتميـزة عـن الغير. كمـا أشـارت النـصوص الأدبيـة إلى أن القبائـل الليبيـة كانـت كـثيرة العـدد، لدرجة جعلت أصحاب هذه النصوص يسمونها شعوبا بدل قبائل، تكـاثر كـان يدفعها للثورة ضد الرومان قصد الحصول على مجالات حيوية أوسع، ومـا عجـز الرومـان في الـسيطرة علـى الأهـالي الـريفيين والبـدو، رغـم وسـائل الإفنـاء الـتي استعملوها ضدهم، إلا دليل على أن أعدادهم كانت تتزايد بسرعة[1].

غير أن هذه الروابط لا تمنع وجود اختلاف بين هذه المجموعات القبلية، فبلاد المغرب التي وجدها الرومان عند دخولهم، كانت تعرف توازنا مبنيا على تعايش نمطين من الحيـاة، عكـسه المستقرون والرحل، سـواء مـن كـان منهم بالسهول أو بالجبـال، أوالهضاب العليـا أو في السهوب أو الـصحراء. بحيـث أن الفرق في نمط الحياة محدد بالشروط الجغرافية والطبوغرافية، ولا يشكل حدودا مقتسمة بين هذه القبائل ونمط معيشتها، فالسهول الساحلية والجبـال التي تتوفر على الماء وتمكن من الزراعة، توافق حياة الاستقرار، أما الأراضي الجافـة فـإن البـداوة بهـا أمـر ضـروري. وإضـافة إلى هـذه العوامـل الطبيعيـة، يمكننا أن نشير إلى أن الظروف السياسية يمكنها أن تغير بدورها الحدود بـين المنطقـتين، دون أن تـتغير الـشروط الفيزيائيـة[2]، وذلـك مـا سـنلاحظه في علاقة الاحتلال الروماني بهذه النمطية.

فالسلطة الرومانية تجاهلت تماما هذه الحقائق، لأن الرحل الـذين كـانوا مـربين، لعبـوا دورا اقتـصاديا معتـبرا بتمثيلـهم همـزة وصـل بـين المـستقرين في الواحات والمستقرين في التل، وبغض النظر عن الحواجز الطبيعية التي اعترضت تنقلاتهم، متمثلـة في الـسلاسل الجبليـة، وتـسهيل الوديـان لعبورهـا دون صـعوبة، فإن الرومان قد أضافوا صعوبة جدية في وجه أولئك الرحل، وذلك بإنشاء الطرق

---

[1] M. Bénabou, la résistance africaine à la romanisation, éd. Libraire François-Maspéro, Paris 1976, p.69-70

[2] M. Bénabou, Op. Cit, p. 71-73

العسكرية، محاولة منهم لمراقبة وتحديد تحركاتهم، وتوزيع الجنود والمحطات المتقدمة في الطرق الصحراوية الكبرى، هذا من جهة، ودخولها أراضي البدو وتحويلها للزراعة من جهة أخرى.

وليس البدو وحدهم من كانوا ضحية هذه المشروع الروماني، بل نجد فئة الجبليين أيضا تتضرر منه. إذ أن سياسة الرومنة حالت دون المتنفس الطبيعي للقبائل الجبلية، وهو السهول، فهناك قاعدة شبه عامة بأن تنزاح تلك القبائل نحو السهول، وأيضا يمكننا أن نلاحظ على طول التل بأن سكان المناطق الجبلية تتبع أحيانا حاشية صحراوية. لكن هذا الوضع تغير مع الوجود الروماني، لأن ليمس القرن الأول تحدى الجبال، فروما لم تكن ترى في الجبل إلا حصنا تختبئ وراءه لمراقبة المحطات الصحراوية عن بعد، كما أن نقل الليمس خلال القرن الثالث إلى الأطراف الجنوبية للكتل، بغية خلق مراكز في قلب الصحراء، أين توجد أهم منابع المياه، وتلتقي فيها أودية التل، قد أحدث صدعا في الانسجام الطبيعي بين أنماط الحياة التي اعتادت القبائل المغاربية على العيش في ظلها، مما سيؤدي حتما إلى اختناقها واضطرابها، ومن ثمة ثورتها من دون شك[1].

ولعل أهم الإشارات عن تلك القبائل، نجدها في النقوش الأثرية والنصوص الأدبية التي أوردت المور في الغرب، والنوميد في الشرق، والجيتول في الداخل بمحاذاة المور والنوميد، ثم الفاروزيون في الجنوب الغربي، والغرامنت في الجنوب الشرقي. وتتضمن كل مجموعة من هذه المجموعات قبائل كثيرة، أشهرها البقواط(Baquates)، والبوار(Bavares) المنتمية إلى بلاد المور، وقبائل الموسولام(Musulames) الضاربة في بلاد النوميد والجيتول، وأخيرا نجد قبائل الحلف الخماسي المعتصمة بشمالي الصومام[2]. وهناك قبائل أشار كومس إلى أنها تكون بعيدة عن بعضها، ولكنها تحمل نفس الإسم، كالمازيس(Mazices) التي نجدها في

---

[1] محمد البشير، شنيتي: المرجع السابق، ص 156.

[2] G. Camps, «les bavares peuples de Maurétanie césarienne», Revue africaine, V86, Adolphe Jourdan. Libraira-éditeur, Alger, 1942, p.242

الريف(المغرب الأقصى) والورشنيس (lOuarsenis) ،كما نجد الموزوني(Muzuni) قرب فريانة في تونس، والميزوني(Muzoni) في الجنوب الغربي لسطيف أو ميزون(Muzones) في الورشنيس، واسم Muzunei في نفس المنطقة تقريبا[1]. وسنكتفي في هذا الموضوع بالإشارة إلى أهم القبائل التي كان كل منها جزء من مملكة نوميديا قبل دخول الرومان، ومن ثمة تفاعلها مع سياسة الرومنة خلال القرون الميلادية الأولى. فبالنسبة للنوميد، نجد أن أقدم نص لهيرودوت يدرج لفظ نوماد (Nomad) الذي يعني البداوة والترحال،أي جميع الليبيين الممتهنين للرعي، لأنه قسم ليبيا إلى قسمين[2]: جزء شرقي إلى نهر تريتون، يسكنه البدو الرعاة، وإلى الغرب من نهر تريتون تبدأ بلاد الليبيين الذين يفلحون الأرض، أي المستقرون[3]. وبنت النصوص الإغريقية واللاتينية من بعده على هذا الأساس أصل تسمية النوميد، فقد أشار ديودور الصقلي أيضا إلى هذه النمطية، في وصفه الليبيين المزارعين والبدو الرحل[4]. ويبدو أن مصطلح نوميد الدال على شعب معين، قد جاء متأخرا عن زمن هيرودوت، وربما كان نتيجة تناظر التسمية الليبية- الفينيقية، بالإغريقية- اللاتينية فيما بعد، بدليل أن الجغرافي سترابون لم يكن يفرق بين مفهوم عبارة نوميد ونوماد، حيث يشير إلى أنه خلف البلاد القرطاجية يبدأ إقليم الرحل أو النوميد، وأن ترحالهم يرجع إلى أن تعدد الحيوانات الضارية قد منعهم من زراعة أراضيهم[5]، وكذلك الشأن بالنسبة لسالوست،الذي أورد أسطورة أن الفرس القادمين مع جيش هرقل من اسبانيا، قد اختلطوا بالجيتول في بلاد المغرب، وبسبب تنقلهم من مكان لآخر، سموا بالنوماد، ولكنهم استقروا فيما بعد بمحاذاة قرطاج وسميت أرضهم بنوميديا نسبة لهم[6]، وأما بوليب

---

[1] محمد البشير، شنيتي : نفسه، ص163.

[2] هيرودوت:" التواريخ، الكتاب الرابع، 191"، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس-ليبيا، 1967، ص 89-90.

[3] ديودور الصقلي: "المكتبة التاريخية، الكتاب الثالث، 49"، نصوص ليبية، ص 181.

[4] Strabon, Géographie, II, V, 33, traduction française. Amédé Tardieu

[5] Saluste, la guerre contre Jugurtha, XVIII, éd. François Richard, 1933

[6] Polybe, Histoire générale, I. III. 3, T.1, traduction par Wlalt

الذي يذكر النوميد كفرسان في جيش حنبعل عند محاربته الرومان، فقد استعمل مصطلح نوميديا للدلالة على شعب معين، له خصائصه ونظمه[1]، أما بلين فلم يحد بدوره عن مفهوم الرحل المرتبط بالنوميد[2].

لكن الباحثين المحدثين قدموا عديد الفرضيات حول تسمية النوميد، سيما وأنه لا أثر لهذا الاسم في نص هيرودوت، وإذا كان الاحتلال الروماني قد أزال استعمال هذا الاسم ولو إلى حين، لأنه يدل على هوية شعب وأمة، فإن الكثير من الأشخاص ظلوا متمسكين بانتمائهم النوميدي، وهذا ما يظهر في ألقابهم التي احتفظت بها النصوص الأثرية، كما بقي اسم نوميديا يطلق على قبيلة بناحية تافست( سوق أهراس)، وعلى المدينة المركزية لتلك القبيلة، وهي تبرسق النوميدية[3](Tubursicu Numidarum) وكذا على ما يعرف بنوميديا الوسطى، لأن تلك المنطقة كانت النواة الأولى للمملكة النوميدية[4]. وعن أصل كلمة نوميد، يشير كومس إلى أنه سامي أو محلي، إذ يوجد في الأعلام الليبية أسماء عدة تبدأ بحرف النون والميم[5] (NM)، وفي نفس السياق أشار فيفري إلى أن الأصل الليبي للكلمة اللاتينية" Numida" يمكننا أن نجده في عبارة" NBIBH"، فهذه الكلمة يمكنها أن تجيب حسبه عن الاختصار اللاتيني[6] لـ N(umida) .

وأما عن الإقليم الذي شغله النوميد، فيجب أن نشير إلى أنهم كانوا منقسمين إلى ماسيل (Massyles) في الشرق، وماسيسيل في الغرب، قبل زمن من الاحتلال الروماني. حيث أوضح هيرودوت بأن المازيس (Mazyes) هم قبائل رحل

---

[1] Pline l'ancien, Histoire naturelle, V. II. 1, éd. Emile Littré, (Paris 1848-1850 )

[2] " وهي اليوم أطلال في منتصف الطريق بين سوق أهراس GENTIS NUMIDARUM " وسدراتة، تحمل اسم خميسة، وقد عثر قزال على نقشين فيها،أحدهما الذي يعني إقليم S. Gsell, Khamissa.قبيلة نوميدة، وليس الإقليم المأهول بشعب النوميد كله" (للمزيد ينظر: Madaourouche. Announa, éd. Adolphe Jourdan, (Alger 1914), p.13

[3] محمد العربي، عقون : الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر 2008)، ص158.

[4] غابريال، كامبس : ماسينيسا أو بدايات التاريخ،ترجمة وتحقيق العربي عقون، منشورات المجلس، (الجزائر 2010)، ص178.

[5] G. Février, «Que savons-nous du libyque», Revue africaine, V 100, éd. Adolphe Jourdan, (Alger 1956), p.267

[6] S. Gsell, Hérodote. I, Textes relatifs à l histoire de l'Afrique, (Alger 1915), p.53

على طول الساحل، من شرق مصر إلى نهر تريتون[1]، وأما غرب هذا النهر فنجد الماكسيس (Maxyes)، وهم ليبيون زراع[2] ولكن مؤرخي القرن الثاني ق.م ذكروا النوميد كشعب كبير على أوسع رقعة من بلاد المغرب، امتدت حدوهم السياسية من الجوار القرطاجي شرقا إلى نهر الملوية غربا، وقد وسع ماسينيسا من حدودها الشرقية، حتى بلغت خليج السرت الكبير قبل وفاته سنة 148ق.م، إلا أن تلك الحدود السياسية قد تراجعت في عهد الرومان، حيث عملوا على تقليصها وضم أجزائها الغربية إلى مملكة موريطانيا. وابتداء من 40م كون الرومان من الإقليم الممتد من الوادي الكبير (Ampsaga) شرقا إلى نهر ملوية غربا ولاية موريطانيا القيصرية، وأصبح سكان هذا الإقليم يدعون بالمور في مصطلح الإدارة الرومانية[3].

وأما عن دورها خلال فترة الاحتلال الروماني، فيبدو أن قبيلة نوميدة في القرنين الثاني والثالث للميلاد، لم تبق ذات أهمية بالقدر الذي يجعلها تحت سلطة ضابط روماني. إذ افترض كومس أنها كانت على عهد الإمبراطور" نيرون" لا تزال كبيرة، لكنها تشتت ولم يبق منها سوى فرقة في أعالي المجردة، تكون قد احتفظت بوجودها إداريا[4]، لكن هذا لا يعني بأن القبائل الأخرى لم يكن لها دور في مقاومة سياسة الرومنة.

فيمكننا أن نذكر قبائل الجيتول مثلا، الذين يرى فيهم كومس أنهم أحفاد مربي الأبقار الموافقين للعصر الحجري الحديث، وأنهم أسلاف الجمالة الذين ظهروا فيما بعد، حيث ألفوا عبر العصور الانتقال نحو الشمال، عندما تحل مواسم الرعي في بلاد التل[5]، وهذا الرأي شبيه بما قدمه قزال الذي ذكر بأن الجيتول يمثلون حدا فاصلا من الناحية الانتروبولوجية، بين الجنس الزنجي الإفريقي والجنس الأبيض المتوسط في

---

[1] J.tixeron, Carthago, T. X, libraire C. Klincksieck, (Paris 1959), p. 12

[2] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص162.

[3] غابريال، كامبس : نفسه، ص302.

[4] غابريال، كامبس : المرجع السابق، ص184.

[5] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص167.

شمال إفريقيا[1]. وتفحصنا للنصوص الأدبية جعلنا لا نجد في أقدمها، وهو هيرودوت (القرن الخامس ق.م) ذكرا لاسم الجيتول، مما يدل على ظهوره في وقت لاحق[2]. فهذا سالوست وصف مواطنهم شمالي الإثيوبيين، وأنهم كانوا تحت الشمس بعيدا عن البحر[3]، وكذا سترابون الذي وصف أن بعضهم كانوا جبليين عتاة تمسكوا بسلسلة الأطلس الصحراوي، وبأنهم أقوى الأمم الليبية[4]، وحدد بلين القديم جيتوليا حتى نهر Nigris الذي يفصل إفريقيا عن الإثيوبيين، كما وصف أن بعض قبائل الجيتول بولاية موريطانيا الطنجية متحركون ويتحينون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم[5].

وإن كانت هذه النصوص تحوي إشارات فقط عن قبائل الجيتول، فإن تتبعنا للوثائق الأثرية اللاتينية، سيرينا نماذج من أسماء الأفراد الجيتول الذين خدموا في الجيش الروماني، أو كانت لهم علاقة بالإدارة الرومانية، إضافة إلى الذين تركوا نقوشا على شواهد قبورهم. ومن المواقع التي حفلت بأسماء جيتولية نجد: تبسة، كيرتا، جميلة، قالمة، وكذلك قرطاجة، إذ تركزت أهم الوثائق عنهم في إقليم نوميديا وجنوبي البروقنصلية[6]. وقد أدرج ديزانج في تحليله لنص بلين القديم حول حملة كورنيليوس بالبوس(Cornelius Balbus) سنة 19ق.م، على الجهة الشرقية من بلاد المغرب، أسماء وجدها هذا الأخير في حملته، ومن بينها أثنية Niteris، حيث كتبها بعض المؤرخين بـ Nitiebres، وآخرون بـ Niciebres، وبعض المخطوطات القديمة ذكرت الـ Nicives أو الـNicibes ،وهو شعب جيتولي كانت عاصمته Nicivibus(نقاوس)، شرق واد بريكة في أعالي لمباز (تازولت)[7].

ومن هنا يتبين أن الإقليم الذي شغلته قبائل الجيتول قد امتد على مساحة كبيرة، من جنوب الأطلس وعلى طول الشمال الغربي للتخوم

---

[1] محمد العربي، عقون : المرجع السابق، ص165.

[2] Saluste, LA GUERRE CONTRE JUGURTHA, XVIII

[3] Strabon, GEOGRAPHIE, II, V, 33

[4] Pline l'ancien, HISTOIRE NATURELLE, V. II. 1

[5] محمد البشير،شنيتي: نفسه، ص166.

[6] J. Désange, « le triomphe de Cornelius Balbus (19 av. J-C), Revue africaine, V 101, Adolphe Jourdan. Libraire-éditeur, (Alger 1957), p. 22

[7] O. Bates, the Eastern libyans, éd. Frank cass and company Limited, London, 1970, p. 56

الصحراوية، كما أن جهتهم الشرقية كانت على طول سرت الكبرى[1]، وإذا كان كومس يشير إلى أن إقليمهم في الشمال لم يكن معروفا بشكل جيد، فإنه على العكس من ذلك نجد بأن الحدود الجنوبية لهذه القبائل، تمتد من موريطانيا الطنجية إلى تخوم الإثيوبيين، وهم يتمركزون في المقاطعات الإفريقية الأخرى[2]. فهم بهذا الانتشار لم ينتموا إلى اثنية واحدة، لأنهم قبائل متعددة الأصول، جمعها إطار جغرافي متجانس، تمثل في السهوب والمرتفعات الجنوبية وحواف الصحراء الشمالية، أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل والصحراء، المتميز بالاقتصاد الرعوي، والمحتوي على الواحات والوديان والشطوط. أما سياسيا، فقد مثل الجيتول شريحة مندمجة مع الشمال نسبيا من الناحية الإدارية، فهم موريون في الغربي الجنوبي، ونوميد في السهوب والمرتفعات الجزائرية التونسية[3].

لكن الأهم من كل هذا هو ثورتهم ضد الرومان، إذ نجد أن جيتوليي الصحراء كانوا من أشد المقاومين لسياسة الرومنة، في توطينها للمزارعين الإيطاليين الذين أفلستهم الحرب الأهلية، وكذا لإجراءات الكنترة (المساحة) وشق الطرق في مناطق انتجاعهم[4]. حيث يتحدث ديون كاسيوس عن ثورة الجيتول ضد يوبا الثاني، قائلا أنهم رفضوا طاعة الرومان، فخربوا الإقليم المجاور، وقتلوا العديد من القادة الرومان الذين وقفوا في وجههم[5]، وهو يقصد هنا الثورة التي امتدت ما بين 3-6م، والتي أعقبت ثورة الغرامنت (19ق.م)، حيث انتصر القائد كورنيليوس بالبوس على القبائل التي تحالفت مع الغرامنت ضد يوبا الثاني وابنه بطليموس، وإن كانت الشهادات الرسمية للرومان قد احتفظت بنصره فقط على الفزانيين والغرامنت، فإن بلين القديم أشار إلى اختراق الجيتول لهذه الحملة[6]، حيث

---

[1] غابريال، كومس : المرجع السابق، ص181.

[2] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص166.

[3] محمد العربي، عقون : المرجع السابق، ص 165.

[4] Dion Cassius, Histoire romaine, LV, 28, T. VI, traduit par E-Gros

[5] للمزيد حول هذه الحملة ينظر: H. Lhote, «l'expédition de Cornelius Balbus au Sahara en 19av. J-C», Revue africaine, V98, (1954)

[6] M. Bénabou, Op. Cit, p. 64

بقيت ثورتهم مستترة خلال فترة الهدوء المؤقت الذي أعقب انتصار كورنيليوس على الغرامنت، لتعود في عهد البروقنصل L. Passienus Refus (الذي بدأت مهامه سنة 4ق.م)، وذلك منذ 3م، فكان من بين القادة الذين قتلوا في هذه الثورة البروقنصل Cossus Cornelus Lentulus، في حملته ضد الجيتول الرحل المتمركزين مابين صبراتة والسرت الكبرى. فهذه الثورة هددت كامل منطقة الحدود الجنوبية، لأن قبائل الموسولام شاركت إلى جانب الجيتول في السرتين الكبرى والصغرى، وامتدت شرقا حتى لبدة، وشملت غربا كل القبائل التي تعيش جنوب موريطانيا ونوميديا[1].

فبالإضافة إلى الجيتول يمكننا التحدث عن موقف قبيلة الموسولام من الاحتلال الروماني، وهم من أكثر القبائل الليبية شهرة، إذ ورد ذكرها في النصوص الأدبية والوثائق الأثرية بكثرة، وجاء اسمها على أشكال مختلفة منها : موزولامي (Musulami)، وميزولاني (Musulani) وميزولامي[2](Musoulami). وقد شكلوا كنفدرالية قبائل حفظت لنا النقوش ذكرى قبيلة منها، وهي قبيلة قوبول (Gubul) الموسولانية التي أشير إليها في نص أثري من تبسة، واحتمالا فإن اسم هذه القبيلة استمر إلى الآن في جبل قوبل (GOUBEUL)، وكذا في الوادي الذي يحمل ذات الاسم شرقي فريانة[3]. ويمكننا أن نحدد إذن إقليم الموسولام خلال القرن الثالث م، من أن قبيلتهم كانت تحاصر إمارة كيرتا من الناحية الجنوبية، ضاربة في العمق النوميدي إلى جنوبي الأوراس، ممتدة شرقا إلى وادي الموثول (ملاق)، فقد كانت مدينة مداوروش (سدراتة) إحدى عواصم قبائل الموسولام التي كانت تمثل نقطة اتصال بين الجيتول والنوميد، أي بين الرحل والمستقرين[4]. فبينما يضع قزال قبيلة الموسولام ضمن الجيتول، وهو اعتماد ظني على نص أبوليوس الذي ذكر بأن مدينة مداوروش تقع في التخوم النوميدية الجيتولية، فإننا نجد كومس يعقد مقاربة مع النصوص الأدبية التي لم يذكر أي منها أن

[1] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص167.
[2] غابريال، كامبس : المرجع السابق، ص303.
[3] محمد البشير، شنيتي : نفسه، ص167-168.
[4] محمد العربي، عقون : المرجع السابق، ص179.

الموسولام جيتول، فهذا تاكيتوس الذي تحدث مطولا عن ثورة تاكفاريناس يعتبرهم دائما نوميد، ولا يمكن التفكير في أنه استخدم هذا الاسم (الموسولام) في معنى عام لأنه يميز بدقة النوميد (الموسولام) عن المور وعن الغرامنت، وكذلك"بول أوروس"، فقد ذكر في ذات الجملة الموسولام والجيتول، مما يوحي بأنه يميز في ذهنه بينهما. ومن جهة أخرى يذهب كومس إلى أن المعطيات الأثرية لا تسمح بإظهار أي فرق في موضوع نمط المعيشة والعادات مابين البلاد الواقعة بين مجردة وخليج عنابة من جهة، والبلاد الواقعة مابين مجردة وجبل تبسة من جهة أخرى، لأن مقابر قسطل وجبل مستيري تعود لفلاحين مستقرين وليسوا من الرعاة الرحل، ولو كان الموسولام من الجيتول فينبغي القبول بأن بعضهم لم يكن أبدا من الرحل، ولا يكاد يختلف عن المزارعين النوميد. فالموسولام تمركزوا إذن في منطقة الأوراس، من سوق أهراس إلى ماوراء النمامشة جنوبا، ولكنهم فقدوا قسما من أراضيهم بعد حرب دامت أكثر من 7 سنوات، ولم يبق الرومان لهم إلا على قسم من تلك الأراضي، تمكن الأثريون من الكشف عن معالمها مابين ماسكولة وتيفست[1]. فقد أورد قزال في أطلسه نقشا مزدوجا، نحت على حجر في عهد تراجان (104-105م)، في القدم الجنوبية لجبل مداوروش بين عين سعيد ومخرج خنقة بوساسو، تشير إلى الحدود المثبتة بين فرقتين أوغسطيتين: بروبريتور المداور والموسولام[2].

وإلى جانب مقاومة الموسولام لحركة التوسع الروماني نحو الداخل النوميدي، سنتي 5-6م مع الجيتول كما ذكرنا، فإن انتفاضاتها ضد الرومان قد تواصل بموطنها الأوراس، وأشهرها ثورة تاكفاريناس (17-23م)[3]، التي شاركت فيها قبائل المور بقيادة "مازيبا"[4]، فامتدت هذه الثورة

---

[1] S. Gsell, Atlas archéologique de l'Algérie, T. I, Feuille 18, N 519, (Alger 1997), p. 37

[2] محمد البشير، شنيتي: المرجع السابق، ص167.

[3] "يذكر تاكيتوس بأن الحرب اندلعت في إفريقيا ضد تاكفاريناس النوميدي، الذي فر من الجيش الروماني جامعا حوله مجموعة متشردين، وأصبح بعد تنظيمهم زعيما للموسولام، وجمعوا حولهم المور الذين تزعمهم مازيبا، فأحرقوا وأحرزوا الرعب في كل مكان، ويشير في النهاية بأن الرومان انتصروا عليهم" (للمزيد ينظر: Tacit, Annales, II, LII)

[4] شارل أندري، جوليان: المرجع السابق، ص186.

إلى موريطانيا غربا وسرت الصغرى شرقا، وعاصرت عهد الإمبراطور تيبريوس الذي شرع في رسم الحدود، ببناء الطريق المحصنة الرابطة بين قابس (TACAPAE) وحيدرة(AMMAEDARA) حيث عسكرت الكتيبة الأوغسطية الثالثة، وكانت هذه الطريق تشق الأراضي التي ينتجع فيها الموسولام، فكان سببا في ثورتهم[1].

ولئن كان الموضوع لا يسعنا أن ندرج تفاصيل هذه الثورة، فإنه يمكننا القول أن شدتها أدت إلى استقدام الرومان للفرقة الاسبانية التاسعة، وعدم تمكنها من كبح جماح الثورة إلا بمحاولة كسر صفوف تاكفاريناس وجذب المور منهم، مما أدى إلى قتل تاكفاريناس في أوزيا سنة 23م[2]. لكن هذا لم يمنع الموسولام من مواصلة الدفاع عن أراضيهم، وهو ما دل عليه نقل معسكر الكتيبة الأوغسطية الثالثة في عهد تراجان، من تبسة إلى لمباز(تازولت)، حرصا من الرومان على تشديد مراقبة قبائل الأوراس غير المنقادة، وكذلك تأسيس قلعة ادماجورس (هنشير بسرياني) سنة 105م، فأصبحت جبال الأوراس محاطة بشبكة إستراتيجية مكتملة التحصينات[3].

---

[1] M. Bénabou, Op. Cit, p. 81

[2] شارل أندري، جوليان: المرجع السابق، ص 186.

[3] محمد البشير، شنيتي: المرجع السابق، ص 162.

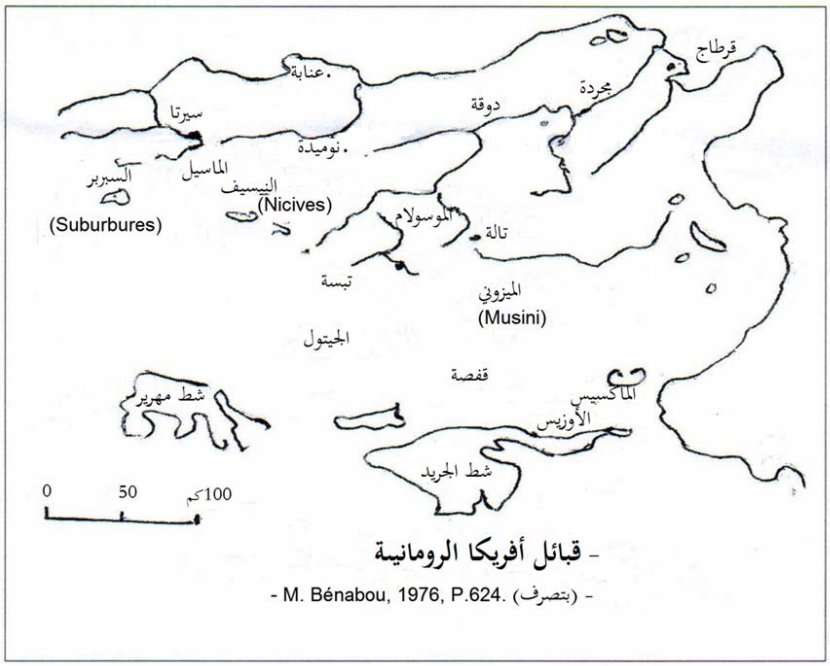


- قبائل أفريكا الرومانية

- M. Bénabou, 1976, P.624. (بتصرف) -

وبعد الجيتول والموسولام لا يمكننا في هذه الدراسة أن نتجاوز قبائل البوار التي لعبت دورا هاما في مقاومة الاحتلال الروماني. إذ أن الخارطة التقريبية لهذا الشعب الكبير (GENTIS MULTUS) امتدت من التل الوهراني إلى جبال بابور، فهم بهذا التحديد قوم جبليون مزارعون ومربو مواشي، في حين يرى آخرون أنهم بدو متنقلون عبر السهوب، من نهر الملوية إلى جنوبي سطيف[1]. فبعد استعراضه لنقوش عديدة دالة على ثورات البوار (BAVARES) في كامل مقاطعة موريطانيا القيصرية، توصل كومس إلى أن هناك مجموعتان كنفدراليتان تحملان نفس الاسم، إحداهما في أقصى الغرب والأخرى في أقصى الشرق، وهما البوار الغربيون الذين ربطتهم علاقة مع قبيلة المازيس (MAZICES) في الورشنيس والبقواط في الأطلس الأوسط، والبوار الشرقيون الذين يتوزعون من الصومام إلى الوادي الكبير، شاغلين بذلك مناطق: سطيف، كويكول، ميلة، وخاصة جبال البابور (وربما أعطته اسمها)، فهم شعوب جبلية في الشرق كما في الغرب. وقد هددوا على

[1] G. Camps, «les Bavares peuple de Maurétanie césarienne», Revue Africaine, pp. 266. 281

الدوام ، خلال قرون السلم الروماني (PAX ROMANA)، هدوء السهول لأنها كانت مراعيهم الشتوية[1]. إذ نجد نقوش عديدة تسجل انتصارات القادة الرومان على البوار الثائرين، منها نقش مليانة (ZUCCABOR) المؤرخ في 1 جانفي 263م، والمهدى إلى حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية، الذي لقب آنذاك بالمدافع (PROTECTOR EIUS)، فهو يعكس فترة الثورات التي اشتعلت بإفريقيا بداية النصف الثاني من القرن الثالث، حيث امتدت مابين(253-262م)، وشملت كنفدرالية مكونة من البوار المعتصمين في كتلة البابور، وقبائل أخرى.

وقد أصبحت مدينة أوزيا (AUZIA) خلال هذه الاضطرابات مقرا للمقاومة الرومانية، حيث قام الدفاع الروماني من الوادي الكبير إلى الملوية بوضع حواجز على كل النقاط التي هددها اجتياح الجبليين في الهضاب والسهول، وبعد معارك ضارية طوال تلك السنوات (253-262م)، حل السلم في موريطانيا القيصرية. وقد ذهب كاركوبينو إلى القول بأن تاريخ إفريقيا في هذه المرحلة، قد تبع الوضع العام في روما، لأن سنة 253م تزامنت مع ضعف هذه الأخيرة، بسبب انقسامها إثر الخلاف بين VALERIEN و EMILIEN، وهو ما هيج القبائل الإفريقية على الثورة، وبعودة الهدوء إلى روما سنة 262م، عاد السلم إلى إفريقيا[2] ، ولكن إلى أي مدى يمكن أن نصدق هذا التحليل ؟ لأننا نلاحظ في نهاية القرن نفسه، مابين 290-293م، ثورة أخرى للبوار الشرقيين الذين نزلوا من جرجرة لمهاجمة أوزيا، حيث نقشت تخليدات نصر للقادة الرومان في قيصرية (CAESAREA) وأخرى في صلداي[3](SALDAE) ، وهو ما يوحي بأن تلك القبائل لم تتوقف عن المقاومة سعيا منها لاسترجاع أراضيها.

ولم يكن البوار الغربيون في منأى عن هذه الثورات، إذ أن هناك نقش يشير إلى منطقة ZUCCAR أو AFFREVILLE (مليانة)، يخلد انتصار حاكم موريطانيا القيصرية، وهو AELIANUS AELUS على إحدى قبائل البوار، مابين 284-289م، حين دارت هذه الثورة في الجنوب الغربي لنهر الشلف أو الورشنيس.

---

[1] J. Carcopino, «l insurrection de 253», Revue africaine, N 60, Office de publication universitaire, (Alger 1919), p. 369-383

[2] M. Bénabou, Op. Cit, p. 235

[3] G. Camps, «les Bavares peuple de Maurétanie césarienne», Revue Africaine, pp. 261. 269

ويبدو أن اختفاء كنفدرالية البوار الشرقيون كان سريعا، إذ لم يرد اسمهم في النصوص الأدبية اللاحقة لنهاية القرن الثالث، مما يوضح اضمحلال دورهم الثوري، وأما البوار الغربيون فإنه يصعب تحديد تاريخه، لأن كل الأفارقة غير المترومنين قد حملوا في وقت معين اسم المور، مع أن لا شيء يثبت اختفاء الاسم المحلي لتلك القبائل[1]. لكن الجدير بالذكر أنه في نفس فترة ثورة قبائل البوار، نجد قبيلة أخرى تقاتل إلى جانبها، وهي الحلف الخماسي(QUINQUEGENTIANI)، التي ذكرت المصادر اللاتينية بأنها كنفدرالية قبائل متمركزة في المنطقة الجبلية، مابين دلس و بجاية. اشتهرت بمقاومة الاحتلال الروماني خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد، بالمرتفعات الشمالية لحوض الصومام[2]. إذ كان لها دور مهم ضد الرومان مابين 259-260م، اعتمادا على نقش أوزيا المؤرخ في 25 مارس 260م، والذي حمل إهداء إلى حاكم هذه المقاطعة Q. GARGILUS MARTIALIS الذي قاد معركة ضد "فراكسن" زعيم قبائل الحلف الخماسي، وانتصر عليه[3].وتأخذنا النقوش إلى الإستدلال على ثورة أخرى للحلف الخماسي، بداية من سنة 289م في وادي الساحل وانتشرت ببلاد القبائل الحالية حتى وصلت إلى الحضنة، وبسبب عدم تمكن الوالي من تهدئة الاضطرابات، قدم الإمبراطور مكسيميانوس (MAXIMINUS) بنفسه، وقاد حملة عسكرية سنة 296م عن طريق اسبانيا، مختارا لها أفضل الفرق العسكرية الرومانية المرابطة بأوربا. ومع ذلك لم يتمكن الإمبراطور من إخضاع الثوار إلا بعد سنتين من القتال، إذ تحتم عليه أن يعسكر طويلا بموقع "TUBOSUETU" (غربي عنابة) لمنازلة الثوار، ولما إطمئن بنفسه على الانتصار، اتجه إلى قرطاجة (مارس 298م) في موكب نصر فخم.[4] وإن كان كومس قد أشار هنا إلى الوضع الخطير الذي عاشته كامل موريطانيا القيصرية، بسبب سلب ونهب قبائل الحلف الخماسي والبوار والفراكسينانس (FRAXINENSES)، بعض مناطق نوميديا، فإن هذه لا يعدو أن

---

[1] محمد البشير، شنيتي : المرجع السابق، ص 306.

[2] M. Bénabou, Op. Cit, p. 227

[3] محمد البشير، شنيتي : نفسه، ص 307.

[4] G. Camps, «les Bavares peuple de Maurétanie césarienne», R AF, p. 257

يكـون اسـترجاعا لـبعض الحقـوق -لا كلـها- الـتي سـلبها الرومـان مـنهم، وأصبحوا متمردين في نظره، لا أصحاب أرض مطرودين.

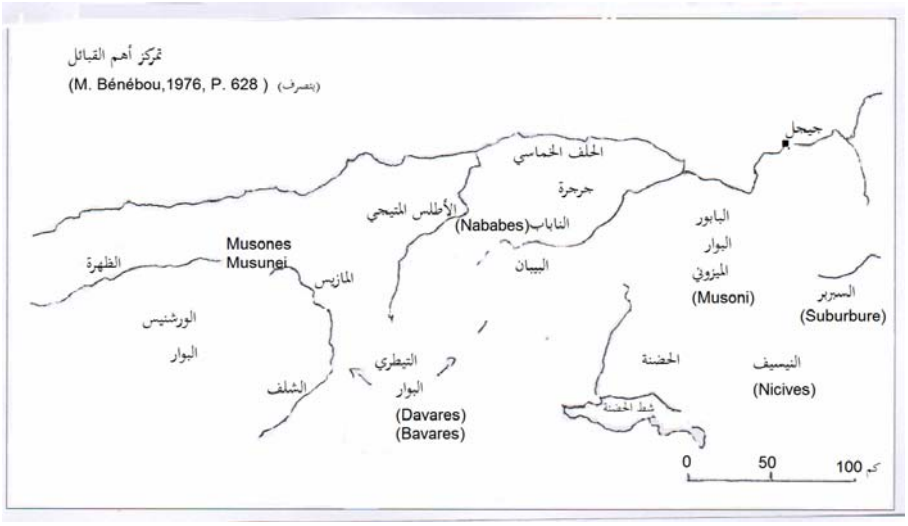


تلك كانت أهم قبائل المغرب الروماني، فإن اتسمت مقاومات قبائل الجيتول، الموسولام، البوار، والحلف الخماسي بعدم الوحدة والنجاح المحدود رغم هدفهم المشترك في محاولة استرجاع أراضيهم، وتقويض أركان السلطة الرومانية، فلأن هذه الأخيرة شكلت جدارا منيعا في سبيل ذلك، لكن مع هذا، استطاعت تلك القبائل تشكيل كنفدراليات مؤقتة، وتحقيق استمرارية، مستغلة ضعف الجيش الروماني بين الحين والآخر، فشملت كامل بلاد المغرب، وإن تميز دورها خلال العهد الروماني بالمقاومة، فإنها حاولت إنشاء ممالك موحدة خلال فترة الو ندال والبيزنطيين من بعدهم، دور قبلي استمر صيته إلى عهد الإسلام فيما بعد.

# بيبليوغرافيا:

## المصادر:


**1**-ديودور الصقلي : "المكتبة التاريخية"، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس - ليبيا، 1967م.

**2**-هيرودوت: "التواريخ"، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس-ليبيا، 1967م.

3-DION CASSIUS, HISTOIRE ROMAINE, T. VI, TRADUIT PAR E- GROS

4- PLINE L'ANCIEN, HISTOIRE NATURELLE, ED. EMILE LITTRE, (PARIS 1848-1850).

5-POLYBE, HISTOIRE GENERALE, T.I, TRADUIT PAR WLALT.

6- SALUSTE, LA GUERRE CONTRE JUGURTHA, ED. FRANÇOIS RICHARD, 1933.

7- STRABON, GEOGRAPHIE, TRADUCTION FRANÇAISE. AMEDEE TRDIEU.

8- TACITE, LES ANNALES.


## المراجع :


9- جوليان، شارل أندري : تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بوسلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م.

10- شنيتي، محمد البشير : التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

**11**- كامبس، غابريال، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق العربي عقون، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م.

12- عقون، محمد العربي : الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

13- BATES (O.), THE EASTERN LIBYANS, PUBLISHED BY FRANK CASS AND COMPANY LIMITED, (LONDON 1970).

14- BENABOU (M.), LA RESISTANCE AFRICAINE A LA ROMANISATION, ED. LIBRAIRE FRANÇOIE, (PARIS 1976).

15- CAMPS (G.), LES BERBERES MEMOIRE ET IDENTITE, ED. BARZAKH, (L'ALGERIE 2007).

16- CAMPS (G.), « LES BAVARES PEUPLE DE MAURETANIE CESARIENNE », R AF, ED. ADOLPHE JOURDAN, (ALGER 1955).

17- CARCOPINO (J.), «L'INSURRECTION DE 253», R AF, N 60, OFFICE DE PUBLICATION UNIVERSITAIRE, (ALGER 1919).

18- COURTOIS (CH.), «DE ROM A L ISLZM», R AF, V 86, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1942).

19- DESANGE (J.), «LE TRIOMPHE DE CORNELIUS BALBUS 19AV. J-C», R AF, V 101, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1957).

20- FEVRIER (G.), «QUE SAVONS-NOUS DU LIBYQUE ?», R AF, V 100, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1956).

21- GSELL ( S.), HERODOTE, TEXTES RELATIFS A L HISTOIRE DE L AFRIQUE, (ALGER 1915).

22- GSELL (S.), ATLAS ARCHEOLOGIQUE DE L'ALGERIE, T. I, (ALGER 1997).

23- GSELL (S.), KHAMISSA, MADAOUROUCHE, ANNOUNA, 1ERE PARTIE, 1ER FASCICULE, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1914).

24- LHOTE (H.), « L EXPEDITION DE CORNELIUS BALBUS AU SAHARA EN 19 AV. J-C », R AF, V 98, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1954).

25-RINN (L.), « LES PREMIERS ROYAUMES BERBERES ET LA GUERRE DE JUGURTHA », R AF, N° 29, ED. A. JOURDAN, (ALGER 1885).

26- TIXERON (J.), CARTHAGO, T. X, LIBRAIRE C. KLINCKSIECK, (PARIS 1959).